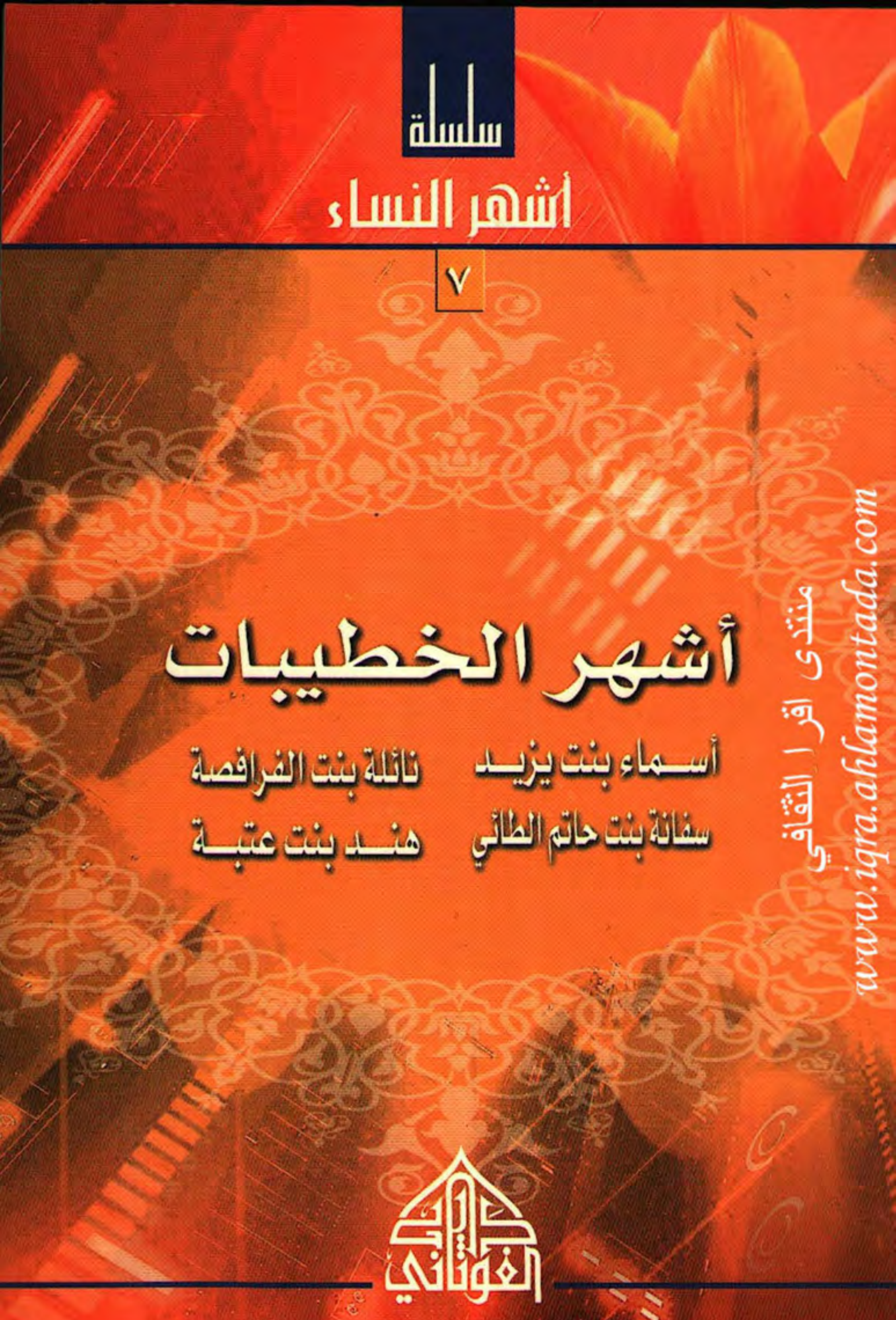

سلسلة
أشهر النساء
٧
أشهر الخطيبات
أسماء بنت يزيد
نائلة بنت الفرافصة
سفانة بنت حاتم الطائي
هند بنت عتبة
دار الغوثاني



سلسلة أشهر النساء



أشهر الخطيبات

إعداد

محمد محمود القاضي

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠



سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطابةُ مِن أَرقى فُنونِ القولِ، ولهَا تأثيرٌ كبيرٌ على النفوسِ والعقولِ، حيثُ تستميلُ السّامعينَ، وتوجّههم إلى ما يريدهُ الخطيبُ، وقَد بيَّن النبي ﷺ مدَى تَأثير الخُطبة على نفوسِ النّاسِ وعقولِهِمْ، فقالَ ﷺ: «إنَّ من البيانِ لسحراً» [البخاري].

والْخَطِيبُ الجيِّدُ هو مَن تتحقّقُ في خُطبته عَناصرَ نجاحِها، فتمتازُ بالبلاغةِ والفصاحةِ، مع الإيجازِ وقُوّةِ التأثيرِ؛ حتى يصير السّامعونَ مُؤيدينَ لفكرةِ الخطيبِ.

وقَدْ امتلأَتْ كُتبُ الأدبِ والتاريخِ بالخُطبِ والخطباءِ على مرّ العُصورِ والأزمانِ المختلفةِ.

وفي هَـذا الكتابِ نتعرّف على بعضِ النّساءِ الخطيباتِ ؛ اللّاتي امتزنَ بالفصاحةِ وحُسنِ البيانِ.

** ** **

أَسماءُ بنتُ يَزيدَ

عُرفتْ بالبلاغةِ والفصاحةِ، وبأنَّها خَطيبةُ النّساءِ إلى رسولِ الله ﷺ، فقدْ رُوي أَنَّها أَتتْ النبي ﷺ فقالَتْ: يَارسولَ الله، إنِّي رَسولُ مَنْ ورائِي من جماعةِ نساءِ المسلمينَ، كُلهنَّ يقلنَ بقولي، وعلَى مِثل رَأْيي، إنّ الله تعالى قَدْ بعثكَ إلى الرّجالِ والنساءِ، فآمنَّا بكَ واتبعناكَ. ونَحنُ ـ معشرَ النّساءِ ـ مقصُوراتٌ مخدرَاتٌ، قَواعدُ بيُوتٍ، ومَواضع شَهواتِ الرّجالِ، وحَاملاتُ أَولادهِمْ. وإنّ الرّجالَ فُضِّلوا بالجُمعاتِ، وشُهودِ الجنائزِ، والجهادِ، وإذَا خرجُوا للجهادِ؛ حفظنَا لهَم أَموالهم، ورَبّينَا أولادَهُمْ، أَنُشَارِكُهُم في الأجرِ يَا رسولَ الله؟

فالتفتَ النبي ﷺ بوجههِ إلى أصحابهِ، وقال: «هَلْ سَمعتُمْ مقالةَ امرأةٍ أَحسن سُؤالاً عن دينِهَا من هذه؟» فقالُوا: لا والله يارسولَ الله، مَا ظَنَّنا أن امرأةً تهتِدي إلى مثلِ هَذا.فقالَ ﷺ: «انصرفِي يَاأسَماء، وأَعْلِمي من وراءكِ من النساءِ أنَّ حُسنَ تبعُّل إحداكنّ لزوجِهَا، وطلبهَا لمرضاته، واتباعهُا لموافقته، يَعدلُ كُلّ ماذكرتِ للرجالِ». فانصرفَتْ أسماءُ وهي تهلّلُ وتكبرُ استبشَاراً بما قالَ لهَا رسولُ الله ﷺ.

[ابن عبد البر].

تلكَ هي أَسماءُ بنتُ يَزيد بِن السّكن الأَنصاريَّةُ، ابنةُ عمّ مُعاذ بن جَبلٍ. وكانَتْ تُسمّى ـ أَيضًا ـ «فَكيهةً»، وتُكنَي بـ «أُمّ سَلمة» أو «أمّ عَامرٍ الأَشهليّة».

وكانَتْ أَسماءُ من النُّسوة اللاّتي بايعهنَّ رسُولُ اللهﷺ يومَ الحُديبية. تقولُ: إنّ رسولَ الله ﷺ قبض يدهُ وقالَ:«إنِّي لاأُصافحُ النساءَ إنَّما قولِي لمئةِ امرأةٍ كقَولي لامرأةٍ واحدةٍ أو مثل قَولي لامرأةٍ واحدةٍ». [الترمذي والنسائي].

وذاتَ يَومٍ..كانَتْ أسماءُ عنَد رسولِ اللهﷺ والرِّجالُ والنِّساءُ قُعودٌ معهُ، فقالَ: «لعلّ رَجلاً يقولُ مَافعلَ بأهله، ولعلّ امرأةً تُخبر بما فعلَتْ مع زوجهَا» فسكتُوا فقالَتْ أسماءُ: «إي والله يارسُول الله، إنّهم ليفعلون وإنهنّ ليفعلنَ» فقالَ ﷺ: «فلاتفعلُوا، فإنّما مثل ذلكَ مثلُ شَيطانٍ لقي شَيطانةً فغشيهَا (أي: جَامعهَا) والناسُ ينظرونَ». [أحمد].

وقَدْ شهدتْ«أسماءُ» فتحَ مكّة، ثم امتدّ بهَا العمرُ حتى شهَدتْ موقعةَ اليرمُوك سَنة خَمس عَشرة من الهجرةِ. ويُقالُ إنَّها قتلَتْ من الرومِ تسعةً بعَمودِ فُسطاطها (خيمتِها).

وقَدْ روَتْ عدداً ليس بالقليلِ من أحاديثِ الرّسولِ ﷺ.

نائلةُ بنتُ الفرافصةِ

كانَتْ زوجة لعثُمان بن عفّان، فلمَّا قُتلَ خطبَتْ ـ رضي الله عنها ـ في المسلمينَ، فقالَتْ: «معاشرَ المؤمنينَ وأهلَ الله، لاتستكثُروا مقامِي، ولاتستكثروا كلامِي، فإنِّي حَزينةٌ أُصِبْتُ بعَظيمٍ وتذوّقتُ ثكلاً مِن عُثمان بن عَفّان ثَالثِ الأركانِ من أصحابِ رَسولِ الله ﷺ، فقَدْ تراجعَ النّاسُ في الشّورى حينَ تقدّم، فلَمْ يتقدّمهُ متقدّمٌ ولم يشك في فضلهِ مُتأثمٌ».

ولم تكتفِ نَائلةُ بذلكَ بل أرسلَتْ إلى معاوية بكتابٍ، مُرفق معهُ قَميصُ عُثمان مُمزقًا مليئًا بالدّماء، وعَقدتْ في زرّ القَميصِ خصلةً من شَعر لحيته، قطعهَا أَحد قاتليهِ من ذقنه، وخَمسة أَصابع من أصابعها المقطُوعَة، وأَوصتْ إليه أَنْ يعلّق كلّ أولئكَ في المسجدِ الجامعِ في دَمشق، وأَنْ يقرأ على المجتمعينَ ذلكَ الكتابَ، وكانَ بعضُ ماجاءَ فيه:

«إلى مُعاوية بن أَبي سُفيان، أمَّا بَعد: فإنِّي أدعوكُمْ إلى الله الذي أنعم عليكُمْ وعلّمكم الإسلامَ، وهداكُم من الضلالةِ، وأنقذكُمْ من الكفرِ، ونصركُمْ على العدوِّ، وأسبغَ عليكم نعمهُ ظاهرةً وباطنةً، وأُنشدكم الله وأذكّركم حقّه وحقَّ خليفته أَنْ تنصروهُ بعزمِ الله عليكُمْ، فإنّهُ قالَ: ﴿وَإِن طَآيِفَتَانِ

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]».

وقَدْ اجتمعَ خَمسونَ ألفَ شيخٍ يبكونَ تحت قميص عُثمان وأصَابعها.

تلكَ هي «نَائلةُ بنتُ الفَرافصة بن الأحَوص» رمزُ الشّجاعةِ والصبرِ والصمودِ، ذَات الأدبِ والبلاغةِ والفصاحةِ، خَطبهَا عثُمان بن عفّان، فزوّجها لهُ أَخوها ضبٌ، وحملَها إلى عُثمان في المدينةِ، وكانَ أخوهَا مُسلمًا، بينما كانَتْ هي وأبوهَا وأهلهَا نَصارى، ورغَم ذلكَ كانَتْ زوجةً مخلصةً ومطيعةً، وكانَ عُثمان يستشيرهَا دَائمًا لسدادِ رأيهَا، وقَدْ حظيتْ في بيتهِ بمكانةٍ كبيرةٍ، ثُمّ أَسلمتْ على يديهِ، وأنجبَتْ لهُ من الولدِ ثَلاثًا: أُمّ خَالد، وأروى، وأُمّ أبان الصُغرى.

وعندمَا قامَتِ الفتنةُ الكُبرى.. واشتدّتْ المحنةُ على عُثمانَ بن عَفّان ـ رضي الله عنُه ـ وأُحكِمَ عليهِ الحصَارُ، صَمَدتْ نائلةُ بجوارهِ، وتلقّت عنُه ضَربات السيوفِ قبل أَنْ تَصل إليهِ، وَما إن أَلقى الرّجالُ بحبالهم على أَسوار منزلهِ، ودَخلُوا عليهِ حتى أسرعَتْ تنشُر شَعْرَها، فقال عُثمانُ: خُذي خَماركِ فإنّ حُرْمة شَعْركِ، أَعظمُ عنِدي مِن دخولِهِمْ عليَّ.

وحينَ هجمَ عليهِ أحدهُمْ وهَوى عليهِ بسيفهِ تلقّتْ السيفَ بيدِهَا فقُطعتْ أنَاملُهَا، فصرخَتْ على رَباحٍ غُلام عُثمان، فأسرعَ نَحو الرّجل فقتلهُ، وبينمَا كانَتّ تَهرعُ لإمساكِ سيفِ رَجلٍ ثانٍ لكنّ الرجلَ تمكّن من أنْ يقطعَ أصابعَ يدهَا الأُخرى وهو يُدخلُ السيفَ في بطن عُثمان ليقتلهُ، وحينَ همُّوا بقطعِ رأسهِ ألقت عليهِ بنفسهَا إلا أنّهم لم يرحمُوا ضعفهَا، ولم يعرفُوا لعثمانَ قدره، فحزّوا رأسهُ، ومثَّلوُا بهِ، فصاحَتْ والدمُ يسيلُ مِن أطرافهَا: إن أميَر المؤمنينَ قَدْ قُتل. إن أميَر المؤمنينَ قَدْ قُتِلَ. ثُمّ دخلَ رجلٌ عقبَ مَقتل عُثمان، فإذَا رأسهُ في حجرهَا.

فقالَ لهَا: اكشفِي عن وجههِ. قالَتْ: ولِمَ؟ قال الرجلُ: ألطمُ حُرَّ وجههِ فقَدْ أقسمتُ بذلكَ. فقالَتْ: أمَا ترضى ماقـالَ فيـه رسولُ الله ﷺ، قالَ فيه كذَا وكذَا. فقالَ: اكشفِي عن وجههِ. ثُمّ هَجمَ عليهَا فلطمَ وجهَ عُثمان، فدعَتْ عليهِ قائلةً: يبَّس الله يدكَ، وأعَمى بصركَ. فلَمْ يخرج الرّجلُ من الباب إلا وقَدْ يبستْ يداهُ، وعمي بصرهُ.

وتُركتْ جُثة عُثمان في مكانِهَا دونَ أنْ يجرُؤ أحدٌ على تجهيزهِ ودفنهِ، فأرسلتْ إلى حُويطبَ بن عَبد العُزّى وجُبير بن

مُطعمٍ، وأَبَي جهم بن حُذيفة، وحكيم بن حُزامٍ، ليُجَهِّزُوا عُثمان، فقالُوا: لانقدرُ أن نخرجَ به نهارًا.

وحينَ حلّ الظّلامُ خرجُوا به بين المغربِ والعشاءِ نحوَ البقيعِ، وهي تتقدّمهم بسراجٍ ينيرُ لهُمْ حتى تمّ دفنهُ بعدَ أن صلّى عليه جُبير بن مُطعم وبَعض المسلمينَ، ثُمّ قالَتْ تُرثيه:

ومـــالِي لا أَبْكـــي وأُبكـــي قـــرابتي
وقد ذهبتْ عنا فُضـولُ أَبي عَمْـرِو

وعاشَتْ نائلةُ حافظةً لذكرى عُثمان بن عفّان ـ رضَي الله عنُه ـ وظلتْ وفيةً لهُ، فلم تتزوّج وكانَتْ من أجملِ النساءِ.

وكلمّا جاءهَا خاطبٌ رَدَّتْه، ولما تقدّم معاويةُ ـ رضَي الله عنُه ـ لخطبتهَا أَبَتْ، وسأَلَتْ النساءَ عمّا يعُجبُ الخُطّابُ فيهَا، فقلنَ: ثناياكِ (وكانَتْ مليحةً وأملحُ ما فيهَا ثغرُهَا) فخلعَتْ ثنايِاهَا، وأرسلَتْ بهن إلى مُعاوية، وحينَ سُئلت عمّا صَنعتْ، قالت: حتى لا يطمعُ في الرجالُ بعد عُثمان ـ رضَي الله عنُه ـ.

وقَدْ روَتْ السيدةُ نائلةُ عن عَائشة بَعضًا من أحاديثِ النبي ﷺ، ثُمّ تُوفيتْ بعدَ جهادِ عظيمٍ لخدمةِ الإسلامِ..

سَفانةُ بنتُ حاتمٍ الطائي

كانَ أبوَها مَضربَ الأمثالِ في الكرم في الجاهليةِ، فلمّا ظهرَ الإسلامُ وانتشرَتْ الفتوحُ، غَزتْ خيلُ رسول الله ﷺ قبيلتَها «طيّئ» وأخذُوهَا بينَ مَنْ أخذوا من السبايَا، بينمَا فرَّ أخوها عَدي إلى الشّامِ ودخلَ في النصرانيةِ.

وكانَتْ سَفانةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ امرأة بليغةً عاقلةً، مرّ عليهَا النبي ﷺ فقالَتْ لهُ: يَارسولَ الله! امنُنْ علي، منّ الله عليكَ، فقَدْ هلكَ الوالدُ، وغابَ الوافدُ، ولاتُشمتْ بي أَحياءَ العربِ، فإنِّي بنتُ سيّد قَومِي، كانَ أبي يفكُّ الأسيرَ ويحمِي الضعيفَ، ويَقْري (يكرمُ) الضيفَ، ويشبعُ الجائعَ، ويفرّجُ عن المكروبِ، ويطعُم الطّعام، ويفشِي السّلام، ولم يَردّ طالبَ حَاجةٍ قَط، أنَا بنتُ حَاتم طَيئ (الطّائِي).

فقالَ لهَا النبي ﷺ: « يَاجَارية، هذه صِفةُ المؤمنِ، لوكانَ أبوكِ مُسلمًا لترحمنَا عليه». ثُمّ قالَ لأصحابه: «خلُّوا عنهَا، فإنَّ أباهاَ كانَ يحبُّ مكارمَ الأخلاق». ثُمّ قالَ لهَا: «فلا تعجلي حتى تجدي ثقةً يبلّغكِ بلادكِ، ثمُ آذنيني» [ابن هشام].

فلمّا قدمَ ركبٌ من أهلهَا، أرادَتْ الخروجَ معهُمْ، وذهبَتْ إلى رَسولِ الله ﷺ تستأذنهُ، فأذنَ لهَا وكساهَا من أحسن ماعندهُ من الثيابِ، وجعلَ لها ماتركبه، وأعطاهَا نفقةً تكفيهَا مُؤنةَ السفرِ وزيادةً.

ثُمّ قدمَتْ سَفانُة ـ رضَي الله عنهَا ـ على أَخيها عَدي، وكانَ أكبرَ منَها سنًّا، وأَرادَتْ أن تدعُوه إلى الإسلامِ، وتدلّه على الخيرِ، بعدمَا رأَتْ من النبي ﷺ وأصحابهِ ما رأتْ، وعلمتْ عن الإسلامِ وفضائلهِ ما عَلمتْ، ولكنّها لم تَجد مدخلاً إلى الحديثِ في ذلكَ.

وأثناءِ الجُلوسِ..سَألهَا أخوهَا: مَاترينَ في هَذا الرّجلِ (يقصدُ رسولَ الله ﷺ)؟ فانتهزتهَا فُرصة ـ وهي الفَصيحةُ العاقلةُ ـ أن تُقدّم الدينَ الجديدَ لأخيهَا وتدعُوه إليهِ، وتعرّفهُ برسولِ الله ﷺ في أسُلوبٍ حكيمٍ، وعَرضٍ مؤثّرٍ، وسَبيلٍ مُقنعٍ، فقالَتْ: أَرى أَنْ تلحقَ بهِ، فإن يكُن الرّجلُ نبيًّا فاتبعْهُ؛ فللسابقِ إليهِ فضلهُ، وإن يكُن غيرَ ذلكَ لم يُخَفْ عليكَ، وأنتَ مَن أنتَ عقلاً وبصيرةً، وإنِّي قد أسلمتُ. فقال عدي: والله إنَّ هَذا هو الرأي السّليمُ.

ثُمّ خَرَجَ عَدي حتى قدمَ على رَسُول الله ﷺ بالمدينة، فدخلَ عليهِ وهو في مسجدِه، فأسلمَ وحمدَ الله. ونالَتْ أختهُ بذلكَ ثَوابَ هدايتهِ إلى دينِ الحقِّ.

تلكَ هي الصحابيةُ الجليلةُ سفانةُ بنتُ حَاتم الطائي، التي عاشَتْ في كنفِ أبيهَا أَشهرِ كُرماء العربِ الجاهليين، فتربَّتْ على أسمى الصّفاتِ، ومكارمِ الأخلاقِ.

وقَدْ اشتهرتْ سَفانةُ ـ رضَي الله عنهَا ـ بالكرم والسّخاءِ مثل أبيهَا حَاتم الطّائي، فقَدْ كانَ أبَوها يُعطيهَا من إبلهِ مَا بين العشرة إلى الأربعينَ، فتهبُهَا وتُعطيها النّاسَ، فقالَ لها حاتمُ: يابنّيةُ! إنَّ القرينينِ إذَا اجتمعَا في المالِ أتلفاهُ، فإمّا أن أُعطي وتمسكِي، وإمّا أن أُمسك وتُعطي، فإنّهُ لا يَبْقَى على هَذا شيءٌ. فقالَتْ: والله لا أُمسكُ أبدًا. وقالَ أبوهَا: وأنا والله لا أمسكُ أبدًا. قالَتْ: فلا نتَجاورُ. فقاسمهَا مالهُ وتباينَا.

فعاشَتْ ـ رضَي الله عنهَا ـ مثالاً للكرمِ، ورجاحةِ العقلِ، وحُسنِ الخلقِ.

* * *

هندُ بنتُ عتبةَ

هي هندُ بنتُ عتُبَةَ بن رَبيعة بن عَبد شَمسٍ بن عَبد مَناف ابن قُصَي، وأُمّها صَفّيةُ بنت أُمَّية بن حَارثة بن مُرّة. قالَتْ وهي تذكرُ أيامهَا الماضِيةَ: «لقَدْ كنتُ أرَى في النوم أنّي في الشمسِ أبدًا قائمةٌ، والظلُّ منِّي قَريبٌ لا أقدرُ عليهِ، فلمّا أسلمتُ رأيتُ كأنِّي دخلتُ الظلّ، فالحمدُ للّه الذي هدانًا للإسلامِ». بهذه الكلمات الطيبة أرَّختْ هندُ بنتُ عتُبة لحياتهَا.

لقَدْ أسلمَتْ يومَ فتحِ مكّة بعدَ أن أسلمَ زوجُهَا أبو سُفيان، ويَرْوِي ابنها مُعاوية ـ رضَي الله عنهم ـ قصةَ إسلامهَا، فيقولُ: سَمعتُ أُمّي هند بنت عُتبة، وهي تذْكُرُ رسولَ الله ﷺ وتقولُ: فعلتُ يومَ أُحُد ما فعلتُ من الـمُثْـلَة بعمِّه وأصحابه (أي: تقطيعُ جُثثهِمْ بعدَ موتهِمْ). كلّما سَارت قُريشٌ مَسيرًا فأنا معهَا بنفسِي، حتى رأيتُ في النومِ ثَلاث ليالٍ كأنّي في ظُلمة لا أُبصر سَهلاً ولا جَبلاً، وأري تلكَ الظّلمة قَدْ انفرجَت عنّي بضوءِ مكانه، فإذَا رسولُ الله ﷺ يدعوني. ثُمّ رأيتُ في الليلةِ الثّانية كَأنّي على طريقٍ، فإذَا بهُبل (أعظمْ أَصنام قُريشٍ) عن يمَيني يدعُوني، وإذَا إسَافٌ (أَحد أصنام

قُريشٍ، كانتْ تُنحرُ عندهُ الذبائحُ) يَدعونِي عَن يساري، وإذَا برسولِ الله ﷺ بينَ يدي، يقولُ: « تعالَي، هلمّي إلى الطريقِ».
ثُمَّ رأيتُ في الليلةِ الثّالثة كَأنّي واقفةٌ على شفيرِ جَهنمَ، يريدونَ أن يَدفعونِي فيهَا، وإذَا أنَا بِهُبل يقولُ: ادخلي فيهَا. فالتفتُّ، فإذا رسولُ الله ﷺ مِن ورائِي، آخذ بثيابِي، فتباعدتُ عن شَفير جَهنم، وفزعتُ فقلتُ: هذا شيء قد بُيِّن لِي، فعدوتُ إلى صنمٍ في بيتنَا، فجعلتُ أضربهُ وأقولُ: طالما كنتُ منكَ في غُرورٍ! وأَتيتُ رسولَ الله ﷺ، وأسلمتُ وبايعتهُ.

وقبلَ أنْ تذهبَ هندٌ لتبايعَ النبي ﷺ أتَتْ زوجَها أبا سُفيانَ، وقالَتْ لهُ: إنما أريدُ أن أتبعَ محمّدًا. فقالَ: قَدْ رأيتك تكرهينَ هَذا الحديثَ أَمْسِ. قَالَتْ: إنِّي والله مَا رأيتُ أن عُبِدَ الله حقّ عبادته في هذا المسجدِ قبلَ الليلِة، والله إن باتُوا إلا مُصلينَ قيامًا وركُوعًا وسُجودًا. قالَ: فإنّكِ قَدْ فعلتِ ما فعلتِ، فاذهبِي مع رجلٍ من قومكِ.

فذهبَتْ هندٌ إلى عُثمان بن عفانَ معها، واستأذنَ لهَا النبي ﷺ مع بَعض النُّسوة اللاّتي ذهبنَ إلى رَسُولِ الله ﷺ وكانَ جَالسًا على الصَّفا، ومعه عُمر بن الخطّابِ، فقالَ لهنَّ النبي ﷺ: «أُبايعُكنّ على ألاّ تُشركنَ بالله شيئًا». فرفعتْ هندٌ

رأسهَا، وقالت: والله إنّكَ لتأخذ عَلينا أمرًا ما رأيتُكَ أخذتهُ على الرّجالِ، وقَدْ أعطيناكهُ. فقالَ النبُّي ﷺ «ولا تسرقنَ». فقالَتْ: والله إنِّي لأصبتُ من مالِ أَبي سُفيان هَنّاتٍ (بعَض المالِ القليلِ)، فمَا أدري أيحلُّهنَّ لي أَمْ لا. فقالَ أبو سُفيان: نَعم، مَا أَصبتِ من شيء فيمَا مَضى فهو لكِ حَلالٌ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «وإنكِ لهند بنت عتبة؟». قالت: نعم، فاعف عمَّا سلف؛ عفَا الله عنك. قالَ: «ولا تزنينَ». قالَتْ: فَهْل تَزني الحُرَّة؟! ثُمّ قالَ ﷺ: «ولا تقتلن أولادكنّ». قالَتْ: قدْ ربيناهُمْ صِغارًا وقتلتَهم ببَدرٍ كِبارًا. فتبسَّم عُمر - رضي الله عنّه - ضاحكًا من قولها، (ويقال: إن النبي ﷺ ضحكَ من قولهَا أيضًا). ثُمَّ قالَ النبي ﷺ: «قتلَهْم الله ياهندُ». ثُمّ تلا قولهُ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: ١٧].

ثُمَّ قالَ ﷺ: «ولا تأتينَ ببهتانٍ تفترينهُ بين أَيديكنَّ وأرجلكنَّ» (والبهتانُ أَنْ تُدخلَ المرأةُ ولدًا من غيرِ زَوجِهَا، على زَوجِهَا، وتقول لهُ: هو منكَ). قالَتْ: والله إنّ البهتانَ لشيءٌ قبيحٌ، وَما أمرتنَا إلا بالرّشد ومكارم الأَخْلاقِ.

قالَ: «ولا تعصينَنِي في مَعروفٍ». فقالَتْ: مَا جلسنَا في هَذا المجلس، ونحنُ نحبُّ أن نَعصيَ الله ورسُولَهُ في شيءٍ؟

فأقرّ النساءُ بما أُخذَ عليهنَّ، فأمرَ النبي ﷺ عُمر ـ رضيَ الله عنهُ ـ فبايعهنَّ، واستغفَر لهنَّ النبي ﷺ على مَا كان منهنَّ قبلَ ذلكَ. فذلكَ قولَه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]. ولماّ أسلمَتْ هند أرسلتْ إلى رسولِ الله ﷺ بهديةٍ مع جَاريتهَا، فجاءَتْ تلكَ الجَاريةُ إلى خَيمةِ رَسُولِ الله ﷺ بالأبطحِ، فسلَّمتْ، واستأذَنتْ فأذنَ لهَا. فدخلَتْ على النبي ﷺ وهوَ بين نسائه: أُمّ سَلمة، ومَيمُونة، ونَساء من نساءِ بني عَبد المطّلب، فقالَتْ: إن مَولاتي أرسلَتْ إليكَ بهذهِ الهدّية وهي مُعتذرةٌ إليكَ، وتقولُ: إنّ غنَمنَا اليومَ قَليلة الوَالدةِ، وكانَتِ الهدّية جِدْيَيْنِ مَشويّين. فقال رسُولُ الله ﷺ: بارِكَ الله لكُم في غنمكُمْ، وأكثرَ ولادتَها»[ابن إسحاق]. فرجعَتْ إليهَا خادمتهَا فأخبرتهَا بدعاءِ رَسُولِ الله ﷺ، فسرَّت هند بذلكَ، فكانَتْ مولاتها تقولُ: لقَدْ رأينَا من كثرةِ غنمنَا وولادتِها مَا لم نكُنْ نَرى من قَبْلُ ولا قَريب، فتقولُ هند: هَذا هو دُعاءُ رَسُولِ الله ﷺ وبَركتهُ. هذهِ هي أخلاق هِند في إسلامهَا بعد أن فتحَ الله قلبهَا للإيمانِ مِنْ بعد أن أغلقهُ

الكفرُ، وجمّده الشركُ، فجعلهَا تُمثّلُ بسيدِ الشّهداء ــ حَمـزة ابن عَبد المطّلب ـ ثَأرًا منُه لأنّهُ قتلَ يومَ بَدْر أباهَا عُتبة وعمّهـا شَـيبة، وكانَـا كـافرينِ. إنّهـا جـاءَتْ يـوم أُحـد مـع جـيشِ المشركينَ، وقد نَذرَتْ لئن قَـدرتْ علـى حَمـزة لتـأكلنّ مِـن كبده، فلمّا استُشهدَ حَمزةُ ـ رضي الله عنهُ ـ أَمسـكَتْ بقطعـةً من كَبدهِ، وأخذتْ تمضـغهَا لتأكُلـهَا فلَـمْ تَسـتَطعْ أَنْ تبتلعهَـا فلفظتهَا.وسُميت لذلك «أكّالة الأكبَاد».

وقَدْ حَاولَتْ هندٌ أَنْ تكفِّر عَمّا سَبق منهَا أيام الجاهليـةِ، فاشـتركَتْ في الجهـادِ ضَـد أَعـداءِ الله في مَوقعـةِ اليرمُـوك، وروَتْ عن الـنبي ﷺ، ورَوَى عَنـهَا ابنـهَا مُعاويـة، والسـيدة عَائشة أُمّ المؤمنينَ.

ومـن الأحاديـث الـتي رَوتهَـا، أَنّهـا أَتـتْ الـنبي ﷺ، فقالَتْ: إنَّ أبا سُفيان شحيح، وإنه لا يعطـيني وولـدي إلا مـا أخذتُ منه وهو لا يعلم، فهـل علـيَّ في ذلـك حـرج؟ فقـال النبي ﷺ: «خذي ما يكفيك وولدكِ بالمعروف» [متفق عليه].

** ** **

سلسلة أشهر النساء

١ - أمهات المؤمنين
٢ - أمهات النبي ﷺ
٣ - بنات النبي ﷺ
٤ - أشهر النساء
٥ - أشهر الشهيدات
٦ - أشهر الزاهدات
٧ - أشهر الخطيبات
٨ - أشهر المجاهدات
٩ - أشهر الفقيهات
١٠- أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧